

دور القادة الدينيين فى نشر ثقافة السلام ومواجهة التيارات المتشددة والفكر المتطرف

الأستاذ الدكتور / يشار شريف داماد أوغلو

ممثلاً عن دار الإفتاء والقضاء الشرعى لمدينة قوموتينى

وإكسانتى والداعية الإسلامى

اليونان

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ،،،

فإن دين الإسلام مشتق من السلام وهو دين التسامح والوسطية، يرفض التطرف وينبذ العنف والغلو، ويدعو إلى الوسطية والاعتدال، ولذا فقد امتن الله على هذه الأمة بهذه النعمة، فقال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا ۗ ﴿^(١)، وكما قيل "خير الأمور أوسطها" .

(١) البقرة : ١٤٣ .

ومع هذه السمة الأساسية التي تميز بها الإسلام إلا أنه ظهرت فئات من هذه الأمة جنحت إلى التطرف والغلو، واتخذت من أعمال التطرف والعنف وسيلة للوصول إلى تحقيق ما تؤمن به من أفكار متطرفة منحرفة؛ تنسبها بجهلها إلى الإسلام، والإسلام منها براء.

لذا بات من المقرر أن نلقى ضوءاً على دور القادة الدينيين وأثره في نشر ثقافة السلام، مع بيان بعض أساليب مواجهة التيارات المتشددة والفكر المتطرف.

على هذا " المحور الثالث: دور القادة الدينيين " وقع اختيارنا لتقديمه لمؤتمرنا العام السابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والذي سينعقد بإذن الله بمدينة القاهرة يومي: ١٣، ١٢، جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ الموافق ١٢، ١١ مارس ٢٠١٧ م.

هذا فعل ما أكتبه وأسطره يكون تنكيراً لى بواجباتي، ويستفيد منه من له علاقة بالأمة الإسلامية بل بالإنسانية، فאלله أسأل أن يوفقنى إلى ما فيه خير العباد والبلاد إنه نعم المولى ونعم المجيب .

المبحث الأول

دور القادة الدينيين وأثره في نشر ثقافة السلام

المطلب الأول

تعريف القادة لغة واصطلاحاً

القادة لغة:

قال ابن منظور^(١): قادة جمع، مفردة: قائد، ويجمع أيضاً على قائدون وقواد، والقيادة مصدر من الفعل قاد يقود قَوْدًا وقِيَادَةً، واسم الفاعل منها قائد ويجمع على قادة، والقَوْد نقيض السَّوق، فالقَوْد من الإمام والسَّوق من الخلف، والقائد يطلق على أف الخيل أى مقدمته^(٢)، فالقيادة هى السبق والتقدم لارتياح الأفضل للمقودين.

القيادة اصطلاحاً:

عرفت كلمة القيادة بتعريفات عديدة ومختلفة منها:

- القيادة تشمل أى جهد لتشكيل سلوك الأفراد أو الجماعات فى المؤسسات حتى تحصل المؤسسة من خلالها على مزايا أو تحقيق لأغراضها .
- هى عملية تأثير فى أنشطة أفراد أو مجموعات تسهم فى تحقيق الأهداف فى موقف محدد.
- هى القدرة على التأثير فى الآخرين من أجل تحقيق أهداف أو أغراض محددة .
- هى الصفة التى تخلعها جماعة معينة على فرد من أفرادها، فيه خصائص وقدرات معينة تجعله فى نظرهم أهلاً للصدارة وأحق بالقيادة .
- وأخيراً هى القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة، فهى إذن مسئولية تجاه المجموعة المقودة للوصول إلى الأهداف المرسومة، والقيادة الناجحة تحرك الأفراد فى الاتجاه الذى يحقق مصالحهم على المدى البعيد .

(١) هو محمد بن على بن أحمد الأنصارى ابن منظور، نسبة إلى جده جمال الدين أبى الفضل بن المنظور، [٦٣٠ - ٧١١هـ] .

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ط/ دار إحياء التراث العربى مؤسسة التاريخ العربى الطبعة الثالثة [بيروت- لبنان ١٤١٦هـ] (ق.و.د) بتصرف .

ومن وجهة نظرنا فالقيادة هي القدرة على إدارة المكونات المحيطة، بشرية أو مادية، وفقاً للخطط المعدة، ومراقبة سير الأداء وانحرافاتة، مما يجعلنا نصل إلى تحقيق النجاح وفق نسب معينة، ومعالجة الأخطاء، وتقويم الاعوجاج إن وجد، والقائد هنا هو شخصية تمتلك من المواهب والقدرات ما يؤهله لهذه المهمة.

المطلب الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالقيادة

لقد ذكرت ألفاظ في القرآن الكريم لها ارتباط وصلة بلفظ القادة منها:

أ – **الخلافة**: قال ابن منظور: مصدر من الفعل خلف يخلف خلافة، إذا صار في مكان ولم يصر فيه غيره، وتكون الخلافة في الخير والشر، ويقال: أوصى له بالخلافة، وأحسن الخلافة في الأهل والولد، قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابِ﴾^{(١)(٢)}.

ب – **الملك**: قال ابن منظور: مصدر الفعل ملك يملك ملكاً، وهو لفظ يطلق على المذكر والمؤنث كالسلطان، يقال: هذا ملك الله أي عزه وسلطانه، وملكوته: سلطانه وعظمته، والملكوت من الملك، كالرهبوت من الرهبة، والفاعل منه: ملك، وجمع ملك أملاك وملوك، ويقال: مَلَّكَ القومُ فلاناً على أنفسهم، أي صيروه ملكاً وسيداً عليهم^(٣).

ج – **الإمارة**: قال ابن منظور: مصدر من الفعل أمر يأمر إمارة وإمرة بالكسر، وهي السيادة والرئاسة، يقال: أمر الرجل إذا صار سيدياً على القوم وصار ملكاً عليهم.

د – **السلطان**: قال ابن منظور: السلطان الحجة والبرهان، وهو لا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر، وهو في القرآن الحجة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ

(١) سورة ص: ٢٦ .

(٢) لسان العرب ٤/ ١٨٣ مادة (خ.ل.ف) .

(٣) لسان العرب ١٣/١٨٢-١٨٣ مادة (م.ل.ك) بتصرف.

﴿مُبِينٌ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^{(٢) (٣)}.

هـ – الولاية: قال ابن منظور: مصدر من الفعل ولى يلى ولاية، واسم الفاعل منه والي، والولاية بالفتح والكسر، فهي بالفتح السلطان، وبالكسر النصر، وقد قرئت في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا﴾^(٤). بالفتح والكسر قرأها حمزة بالكسر، وقرأ غيره بالفتح^(٥).

و – الإمامة: قال ابن منظور: أم القوم وأم بهم تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل من انتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، وقال منه سيدنا محمد ﷺ إمام أمته، وعليهم جميعاً الائتنام بسنته التي مضى عليها، وقال الإمام لما انتم به من رئيس وغيره، والجمع أئمة^(٦).

المطلب الثالث

القيادة في القرآن الكريم

لقد تناول القرآن الكريم القيادة في آيات عديدة ومواقف مختلفة منها:

– قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٧).

(١) هود: ٩٦ .

(٢) الرحمن: ٣٣ .

(٣) لسان العرب ٦/٣٢٧ مادة: (س.ل.ط) بتصرف.

(٤) الأنفال: ٧٢ .

(٥) لسان العرب ١٥/٤٠١ مادة: (و.ل.ي) بتصرف .

(٦) لسان العرب ١/٢١٢-٢١٣ مادة: (أ.م.م) بتصرف .

(٧) البقرة: ٢٤٧ .

قال الإمام القاسمي^(١) في تفسير هذه الآية: لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه و فقره، رد عليهم ذلك:

أولاً: بأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى، وقد اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم.
ثانياً: بأن العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة، وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب، ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب، وقد خصه الله منهما بحظ وافر^(٢).
ومما لا شك فيه أن مهام القيادة وتبعاتها النفسية والعملية بحاجة إلى شخصية تملك هذه المواصفات: اصطفاء الله تعالى، والعلك، وصحة البدن، التي تؤهله إلى القيادة والملك.

— قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴾^(٣).

قال القاسمي في تفسير هذه الآية: أي قدوة يقتدى بهم في أمور الدين، هم أئمة يهدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم بذلك وإذنا^(٤)، وقال الإمام الزمخشري^(٥): يهدون بأمرنا: فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه، مأمور بها من جهة الله، ليس له أن يخل بها ويتناقل عنها، وأول ذلك أن يهدى بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدى أميل^(٦).
ومما لا شك فيه أن هداية الناس ليست بالأمر السهل، فالقدوة في كل الجوانب تمثل الحصاة الداعمة لتقوية مكانة من يرغب في هداهم.

-
- (١) صاحب كتاب محاسن التأويل هو: العلامة المفسر محمد جمال الدين القاسمي .
(٢) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: للعلامة المفسر محمد جمال الدين القاسمي، ط/ دار الحديث القاهرة ١٤٢٤هـ، ٢/٢٢١-٢٢٢ .
(٣) الأنبياء : ٧٣ .
(٤) تفسير القاسمي ٢١٥/٧ .
(٥) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، من مؤلفاته: الكشاف وأساس البلاغة .
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ط/ دار الفكر، ٥٧٨-٥٧٩ .

— قال الله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١).

قال القاسمي: أى استخلفناك على الملك فى الأرض كمن يستخلف بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها، ومنه قولهم: خلفاء الله فى أرضه (٢)، وقال فخر الدين الرازى (٣): كونه خليفة وجهان؛ الأول: جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء فى الدعاء إلى الله تعالى، وفى سياسة الناس؛ لأن خليفة الرجل هو من يخلفه، وذلك إنما يعقل فى حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال. الثانى: إنا جعلناك مالكا للناس ونافذ الحكم فيهم، فبهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال خلفاء الله فى أرضه، وحاصل ذلك أن خليفة الرجل يكون نافذ الحكم فى رعيته، وحقيقة الخلافة ممتنعة فى حق الله، فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة للزوم فى تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم (٤).

المطلب الرابع

القيادة فى السنة النبوية الشريفة

— عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم» (٥)، قال صاحب عون المعبود فى شرح سنن أبى داود: إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأى، ولا يقع بهم الاختلاف (٦).

(١) ص: ٢٦ .

(٢) تفسير القاسمى ١٣٨/٨ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن على التميمى البكرى، الطبرستانى الأصل الرازى المولد، الملقب بفخر الدين المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعى .

(٤) تفسير الفخر الرازى: مفاتيح الغيب، ط/ دار الفكر ١٤٢٣هـ، ٢٠٠/١٣ .

(٥) سنن أبى داود: كتاب الجهاد باب فى القوم يسافرون يؤمرون أحدهم برقم: ٢٦٠٨ د/ دار ابن حزم، ط/ الأولى ١٤١٩هـ .

(٦) عون المعبود شرح سنن أبى داود: لمحمد شمس الحق العظيم أبادى، ط/ دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٥هـ، ٢١٥/٧ .

— عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني» ^(١)، قال ابن التين: يحثهم صلى الله عليه وسلم على طاعة من يؤمر عليهم والانقياد له إذا بعثهم في السرايا، وإذا ولاهم البلاد، فلا يخرجوا عليه لئلا تفترق الكلمة ^(٢)، إن ربط طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله عز وجل، دلالة واضحة لأهمية الأخذ بها؛ لأن ذلك يمثل السير في الطريق الصحيح المؤدى إلى مرضاة الله عز وجل.

المطلب الخامس

مؤهلات القيادة وصفات القائد

إن أي قيادة في أي مستوى من مستوياتها كانت في حدها الأدنى أو الأعلى لمجموعة من الأفراد أو التكوينات أو لقطر أو لأمة، لا بد وأن تحمل كمًّا هائلًا من المؤهلات، والتي تصقل الشخصية القيادية، فتؤهلها في جميع الجوانب الروحية والعلمية والأخلاقية، بحيث يصبح قادرًا على إدارة من حوله إدارة واعية بعيدة عن الارتجالية أو العشوائية، تجعله قادرًا على إدارة المواقف والأزمات بحكمة وحكمة عالية، تبرز من خلالها رجاحة عقله وصواب توجيهه في أعلى الهرم القيادي المكلف به، لذا فإننا نجد ملهمًا بالواقع، ويدرك مغزى كل شيء، ولديه القدرة على التقويم، وتحديد المسؤوليات، والمتابعة الجادة؛ وصولاً لتحقيق الأهداف المخطط لها سلفًا؛ لذا فإننا نتناول أهم المؤهلات للقيادة التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة على النحو التالي:

١- الإيمان:

لقد بين الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمال ويتحقق به وعد الله للمؤمنين، فمن شروط الاستخلاف في الأرض تحقيق الإيمان بكل معانيه والالتزام بشروطه، فقالوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعلم بالجوارح والأركان، أي هو اعتقاد وقول وعمل، فهذه كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٣).

(١) صحيح البخاري: كتاب الأحكام برقم ٧١٣٧.

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني، ط/ دار الفكر بيروت ١٤٣٣هـ، ٣٨٧/١٦.

(٣) المائة: ٩.

إن القائد المؤمن إذا أحيا في نفسه هذا المعنى الذى ذكرَ في هذه الآية، وهو من المعانى اليقينية السامية، انطلق فى الرحاب بنورانية وشجاعة لم يعتدها الدنيويون، وكان لكلامه تأثيرٌ فى نشر ثقافة السلام؛ حيث يؤثر كلامه فى كل من يستمع إليه.

٢- الإخلاص:

إن الهدف من القيادة هو خدمة هذه الأمة والإنسانية، والعمل على رفعتها والنهوض بها، وهذا كله يكون وفق ضابط رئيسى وهو إخلاص هذا العمل لله وحده، فلا خير فى عمل يخلص فيه الإنسان لنفسه وشهوته ومصالحه الدنيوية العاجلة الفانية الرخيصة، وينسى الله وما عنده من الأجر والثواب وما أعده للمخلصين من خير الدنيا والآخرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنما الأعمال بالنيات... »^(١).

٣- العلم:

قال تعالى وهو يخبرنا عن أسباب تولى طالوت الملك إنه كان ذا علم وقد قال أقرانه فى العلم ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٢)، فكل من يتطلع إلى القيادة عليه أن يكون ذو علم وفهم وبصيرة، حتى يستطيع إدارة شئون القيادة والاضطلاع بمسئولياتها.

وقال سبحانه: " ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣)، يتضح لنا من هذه الآية أن صفة العلم ملازمة لمن أراد أن يتولى قيادة، والربط بين طلب يوسف عليه السلام من عزيز مصر والعلم، للتأكيد على أن العلم يمثل قيمة رئيسة للشخصية القيادية.

٤- الخلق الحسن:

إن الخلق الحسن لا بد وأن له تأثيراً واضحاً فى صقل الشخصية، واكتمال بنائها، ونقصد هنا ذلك الخلق الحسن الذى يعمل على تهذيب النفس وترويضها، والارتقاء بها، لذا كان الإيضاح الربانى للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤)، مما يدل على أن الله عز وجل جعل الخلق مقياساً لأى قائد مناط به حمل أمانة أمة، محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا يسرى على كل من يريد حسن القيادة،

(١) صحيح البخارى : كتاب بدء الوحي، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: ١.

(٢) البقرة: ٢٤٧ .

(٣) يوسف: ٥٥ .

(٤) القلم: ٤ .

قال ﷺ: « إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً »^(١).

لذا فإننا نرى أن الخلق الحسن يمثل مؤهل رئيسي لدى القادة، تؤهلهم لقيادة من بعدهم، وهم يدركون تماماً جملة من الأخلاق العالية والرفيعة التي يجب أن يتحلى بها القائد. وهناك صفات أخرى على القائد أن يتصف بها، منها: القوة، والأمانة، والعدل، واللين، والبعد عن الفظاظة وغلظة القلب، والعفو، والعزيمة وعدم التردد، والتوكل على الله، والرفق والرحمة، والتواضع، والحزم، والحلم، والشجاعة، والكرم والجود، والصدق، والتميز .

(١) صحيح مسلم، فصول في الإمرة والأمير ، ط/ مكتبة الرسالة الحديثة عمان ١٤٠٢هـ، ص ٢١ .

المبحث الثانى

أساليب مواجهة التيارات المتشددة والفكر المتطرف

إن السلام قيمة أصيلة وجوهرية فى الإسلام، ولسنا اليوم نكشف عن وجوده فهو معطى ظاهر، كل ما فى الأمر أن هذه القيمة الأصيلة سرت فى ممارسة السابقين وأسهمت فى البناء الحضارى الكبير وتمثلت فى السلام مع النفس والآخر، وفى نشر فكر التصالح مع العالم وفيه، ولكنها لم تتحول إلى ثقافة سائدة مكتوبة ومتوارثة، يحتكم إليها ويُساءل بموجبها.

المطلب الأول

السلام قيمة إسلامية

يتبدى للعقل الناظر فى النص الدينى أن السلام هو النظام والقاعدة فى الإسلام، وأن العنف هو خرقٌ لنظام الإسلام وخروج على قاعدة الحياة فيه، وفى إطار البرهنة على ما يتبدى للعقل نورد حزمة أدلة:

١- السلام هو اسم من أسماء الله الحسنى الواردة فى القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(١).

- ٢- يدعو المؤمن ربه بهذا الاسم المعظم عقب كل صلاة يومياً: " اللهم أنت السلام ومنك السلام... " وفى هذا لفتٌ لوجدان المسلم إلى ضرورة إشاعة سلام الإسلام فى ذاته وفى محيطه.
- ٣- إن تحية المسلمين حين يلتقون بعضهم وغيرهم هى: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " إنها مبادرة بإعلان السلام، وكذلك عندما يفارقون بعضهم بعضاً.
- ٤- فى الصلاة يحيى المسلمون نبيهم ﷺ وإخوانهم بأنفسهم بقولهم: " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ".
- ٥- أحد أبواب المسجد الحرام فى مكة المكرمة، وأحد أبواب المسجد النبوى فى المدينة المنورة يسمى " باب السلام ".

(١) الحشر: ٢٣ .

٦- الجنة هي دار السلام، قال الله تعالى: ﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(١).

٧- تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم في الآخرة هي السلام، قال الله تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾^(٢).

٨- لقد جاء التبيين النبوي ليربط الإسلام بالسلام والإيمان بالأمان، فقال ﷺ: «المسلم من

سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم» .

٩- وفي القرآن الكريم تأكيد صريح على السلم، وخاصة عند غياب القتال، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾^(٣).

١٠- كذا إن علم المسلم أن الذي يقاقله قد جنح للسلم، فعليه أن يدخل في الحالة السلمية، قال

الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٤) .

١١- إن السلم ليس مجرد هدنة في الإسلام بل العكس هو الأساس، فهو النظام وهو القاعدة

الحياتية، أما الحرب فهي خرق للنظام وهي الاستثناء، قال ﷺ: «يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو

وسلوا الله العاقبة»^(٥).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة^(٦): الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، وأن

ذلك هو رأى الجمهرة العظمى من الفقهاء، والقلة التي خالفت ما كان نظرها إلى الأصل بل نظرها

إلى الواقع الذى عاصرته وما كان فيه من اعتداء على المسلمين وحروب تشن عليهم، فكان

ما قررته حكماً زمنياً وليس أصلاً دينياً.

(١) الأنعام: ١٢٧ .

(٢) إبراهيم: ١٢٣ .

(٣) النساء: ٩٠ .

(٤) الأنفال: ٦١ .

(٥) رواه أحمد في مسنده: حديث (١٩١١٤) ٤٦٠/٣١ .

(٦) محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام ص: ٥٢ بتصرف .

المطلب الثاني

منطلقات إسلامية تؤسس لثقافة السلام

إن السلام في الإسلام في أساسه ليس فكرًا فئويًا يهتم بجماعة من الناس، بل هو ينظر إلى الإنسانية كلها على أنها واحدة، وينظر إلى التاريخ البشري بأكمله على أنه وحدة متوالية متسلسلة، وأدلة ذلك ما يلي:

١- وحدة الإنسانية ووحدة الإنسان:

تجلت وحدة الإنسانية في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١)، تؤسس هذه الآية للمساواة بين الأجناس والأعراق، فالكل من طبيعة واحدة، وله الاستعدادات والإمكانات الإنسانية نفسها، لا عرق أفضل من عرق، وليس هناك "شعب مختار" أو "عرق مختار" يحق له قيادة العالم ومؤهل لسيادته.

الإسلام مفتوح أمام الإنسانية كلها، إنه دعوة للجميع دون استثناء، ودون تفضيل لشخص على شخص إلا بالتقوى، والتقوى أمر اختياري إنساني لا أمر استعدادي خلقي، إذن؛ من التقوى ألا يتعصب المسلم لعرق أو لعصب أو لقومية أو لطبقة، لا ميزة إنسانية لفئة أو لشخص على شخص، الكل سواسية كأسنان المشط .

ظهرت في القرن التاسع عشر في كتابات ترجع إلى نخب علمية وثقافية غربية مقولة غريبة هي "الشرق شرق والغرب غرب"، وتبدو هذه المقولة تصنيفية بظاهرها ولكنها تبطن قطيعة بين شعوب الأرض، وتؤسس لأشكال من الصراع والعزلة واللامساواة الإنسانية، والخطرسة لعرق من الأعراق.

لقد استخدمت مقولة "الشرق شرق والغرب غرب" في إطار أن القطبين لن يلتقيا، ولا يمكن أن يلتقيا لأنهما مختلفان بالجوهر لا عرضيًا، وكأن أهل الغرب هم من جنس بشري مختلف باستعداداته وإمكاناته وجوهره عن جنس أهل الشرق، وقسموا على ذلك حضارات العالم على أساس عرقي وجغرافي^(٢) إلى جزر بشرية منعزلة بجنسها وحضارتها.

(١) النساء: ١.

(٢) انظر في هذا السياق: كلود ليفي شتراوس، العرف والتاريخ ترجمة سليم حداد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٢م .

ونشأ عن هذه المقولة التصنيفية - عرقياً وإقليمياً - فكرة أشد فتكاً بوحدة الإنسانية وهي فكرة " الجنس الأعلى"، وفكرة مفادها أن خصائص الشعوب ثابتة ونهائية وجوهرية، وأدى ذلك إلى انشطار إنساني حضارى توجهت بموجبه الثقافات والحضارات، فإما مسار صراع وإما مسار حوار.

وفى المقابل، فإن الفلاسفة العرب المسلمين - كابن خلدون مثلاً - حين نظروا إلى الفروق بين الشعوب وجدوا أنها خصائص ناتجة من ظروف معيشية وبيئية وليست جوهرًا إنسانيًا، ومن ثم تسقط الظنون بأن عرقاً أقدر على التجريد العقلي وبناء الأنساق الفكرية من غيره من الأعراق، وهكذا .

وقد يتبادر للذهن أن المسلمين أيضاً جنحوا للتفريق بين الشعوب حين تمسكوا بمقولة: " خير الأمم" وأنها مقولة تؤسس للتفاضل واللامساواة بين البشر، وحتى لا تقام مماثلة بين هذه المقولة ومقولة " الشرق شرق والغرب غرب" نقول: إن الخيرية هنا ليست عرقية أو قومية أو إقليمية، إنها خيرية أخلاقية لا وجودية، وبالتالي هي مفتوحة أمام إرادة كل من يشاء الدخول فيها.

وخلاصة القول: إن الإسلام نظر إلى البشر جميعهم على أنهم أسرة واحدة، وأن رسول الله

ﷺ هو الرحمة المرسله إلى الناس كافة بل إلى العالمين لا إلى المسلمين فقط، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) فالإنسان نوع واحد يتعدد فى الأعراق والقوميات.

٢- وحدة التاريخ والدين:

نظر الإسلام إلى الدين على أنه واحد ومن ثم أصبح تاريخ الإنسان تاريخاً واحداً متعاقباً متسلسلاً، تكمل كل حقبة فيه وكل رسالة منه الأخرى، فلا تناقض بين الرسالات بل وحدة الدين وتعدد الشرائع.

وقد حذر القرآن الكريم من التفريق بين رسل الله سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ^(٢)، بل جعل الإسلام فعل الإيمان برسول الله أجمعين وبالكتب الإلهية المنزلة عليهم

(١) الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) النساء: ١٥٢ .

من أركان الإيمان، كما أكد رسول الله ﷺ على أخوة الرسل بقوله ﷺ : «الأبياء إخوة من علاتٍ، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد» (١) .

إذن، فوحدة الإنسانية والإنسان، ووحدة الدين والتاريخ، تُسجّلان للإسلام، إنهما إنجاز إسلامي، وعلى المسلمين حمل هذه المسؤولية، مسئولية بناء ثقافة إسلامية تعكس سلام الإسلام.

٣- ثقافة السلام لا بد أن تكون إنسانية وشاملة:

أطرح هنا مسألتين: مسألة إنسانية هذه الثقافة ثم مسألة شموليتها.

المسألة الأولى: ثقافة السلام إنسانية؛ وحيث إن مسألة السلام هي إنسانية فهي تخضع كغيرها من مسائل الإنسان إلى العقل والإرادة، فلا يوجد سلام حقيقي إن لم يقتنع به عقل الإنسان، ولا يوجد سلام حقيقي إن لم تلتزم به إرادة الإنسان بحرية واختيار.

وحيث إن مسألة السلام هي إنسانية فهي بالضرورة جماعية لا نخبوية، يشترك في صنعها الجميع، حكومات ومؤسسات ومجتمعات أهلية وعلماء الدين ووسائل الإعلام، وبالتالي أي بناء ثقافي في هذا المجال أو تغيير ثقافي لا بدّ أن يتسرب إلى الجماعة البشرية بأكملها، ويدخل في برامج التربية والتعليم والتنشئة، ويؤكد على دور المرأة في صنع السلام وإشاعة ثقافته .

المسألة الثانية: ثقافة السلام شاملة؛ حيث إن الإسلام هو كل كامل لا يقبل التجزئة؛ لذا فتقافة السلام الإسلامية لا بدّ أن تكون شاملة للمجالات الإنسانية كلها، وهذا الشمول يجعلها مُحْكَمَةً مستمرة ومستديمة لا آنية وعرضة للانهايار والسقوط، وهذه الشمولية تظهر بوضوح في المطلب الثالث من هذا البحث.

المطلب الثالث

مجالات السلام الإسلامي

إن محور عملية السلام وثقافته هو الإنسان، فهو السبيل وهو في الوقت نفسه الغاية؛ لأن السلام هو من أجل الإنسان، يولد السلام في العالم من قبل الإنسان كما أن العنف الظاهر هو أيضاً يتفجر من داخل إنسان، وبناءً عليه فإن السلام منظومة متكاملة تتداخل فيها دوائر الوجود الإنساني كلها، الذات والعائلة والمجتمع والوطن والأمة والعالم أجمع، وإن أية خلخلة في دائرة منها سيسرّب الخلل إلى الدوائر الباقية، وسوف أضع نقاطاً على شكل علامات ترسم حدود مجال ثقافة السلام وأفقها الإنساني المرجو .

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل .

المسألة الأولى: السلام الذاتى الداخلى.

إن الأصول الإسلامية متقلة بمفاهيم قابلة لأن تستثمر فى بناء ثقافة السلام الداخلى، وأرى أنه يمكن تصنيفها ضمن مرحلتين:

المرحلة الأولى: تحقق التوازن الداخلى بين مكونات الذات الإنسانية، وترسى مناخ الهدنة، وتزيل مساحات الاحتكاك العدائى العنيف.

أما المرحلة الثانية: فهى لا تكتفى بتحقيق التوازن الداخلى بل تذهب أبعد من ذلك، حيث تصبو لأن تحقق وحدة الذات الإنسانية بتماسك مكوناتها الداخلية فى كل منسجم متناغم لا يقبل التجزئة.

وفى إطار المرحلة الأولى نقرأ كافة التعاليم النبوية التى تنصّ على واجب الإنسان تجاه ذاته، وخاصة واجب العدالة بين مكوناته الذاتية، لقد لفت الإسلام الإنسان إلى ضرورة العدل فى ذاته، بين مكوناته نفسها، فألزمه بأن يعطى لبدنه حقه من الغذاء والنماء، ولروحه حقه من العبادة والرجوع إلى خالقها بالذكر والتسبيح، ولنفسه حقه فى تلبية حاجاتها فى حدود المسموح، ولعقله حقه فى التعلم والقراءة والتفكير، يقول ﷺ: « **فإن لزوجك عليك حقاً ولنفسك عليه حقاً ولجسدك عليه حقاً**»^(١) و **"إن لولدك عليك حقاً"**^(٢) و **"إن لنفسك حقاً ولأهلك حقاً"**^(٣). و " قال سلمان لأبى الدرداء: إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذى حق حقه، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له. فقال النبى ﷺ: " **صدق سلمان**"^(٤).

إن الإنسان وإن كان موجوداً وفاعلاً عبر مكوناته الذاتية إلا أنه ليس مالكا لها بل مستخلفاً عليها، يُسأل عن بدنه فيما أبلاه وعن علمه فيما استنفذه أو أبقاه، وهذه المسئولية ووجوب العدالة معاً تؤسسان لنهج حقوقى مهم جداً، فالإنسان مسئول لا عن حقوق غيره فقط بل عن حقوق الذات. ولكل شيء حق، ومن الضرورى أن يؤدى المسلم هذه الحقوق.

بتأدية حقوق الذات يتحقق العدل داخل الذات، وعندما يتحقق العدل ينزاح الظلم المسبب لكافة أشكال الصدام والصراع والشقاق والتطرف والإرهاب وغير ذلك، فبتأدية الحقوق يتحقق التوازن الداخلى بين مكونات الذات، فلا يوجد صراع داخلى بين العقل والنفس، ولا صراع بين البدن

(١) صحيح مسلم ٨١٣/٢.

(٢) صحيح مسلم ٨١٤/٢.

(٣) صحيح البخارى ٣٨٧/١.

(٤) صحيح البخارى ٦٩٤/٢.

والروح، بل كل مكوناته تأخذ نصيبها وحقها، وتعلم أن الذات هي الرقيب الضامن لعدم التسلط والتطرف، وغير ذلك.

وفى إطار المرحلة الثانية نقرأ كافة النصوص القرآنية والنبوية التي تَلَفَّتْ المسلم إلى أهمية القدوة والأسوة الإنسانية في مجال بناء الذات وصناعة وحدتها الداخلية وتماسكها، إنَّ تأدية حقوق المكونات الذاتية يرسى العدالة ويزيل مسببات الصراع الداخلي، ولكن انصهار المكونات في وحدة ذاتية متماسكة لا يتم إلا بفعل الارتباط الإنساني؛ إذن في المرحلة الثانية لا بدَّ من الاقتداء بالأسوة الحسنة لما لها من أثر على بناء الذات الإنسانية ووحدها.

المسألة الثانية: السلام العائلي .

السلام العائلي يكون على أربع ركائز: السلام بين الرجل والمرأة، وبين الأهل والأبناء، وبين الأبناء والأهل، وبين الأبناء فيما بينهم.

كثيرة هي النصوص الإسلامية، وحاسمة، فيما يتعلق بالعائلة، وفي إطار رسم المعالم نورد ما يأتي:

أ- علاقة الرجل بالمرأة: يخاطبنا القرآن الكريم بلغة مهذبة لطيفة فيما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة، ونخلص إلى أربعة أمور هي: السكن، والموودة، والرحمة، واللباس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾^(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(٢).

وإذا فككنا هذه العلاقات للبيان؛ نجد أن " السكن " عبارة عن استقرار وأمان، فلا بدَّ إذن من أن يشعر كل طرف من الطرفين بالاستقرار والأمان لتحقيق السلام.

كما نجد أن "الموودة" هي المحبة الثابتة لا الرغبة الجارفة الآنية والزائلة، ولا شيء يضمن السلام بين الرجل والمرأة أكثر من ثبات المحبة واستمرارها.

كما نجد أن " الرحمة " هي عدم الإرهاق، فلا يرهق الزوج زوجته بمتطلبات تفوق قدراتها الجسدية والإنسانية، وكذا لا ترهق الزوجة زوجها بمطالب تلجئه إلى ما لا يرضى، أو تولد فيه مشاعر الإحباط والفشل والقلّة.

(١) الروم: ٢١ .

(٢) البقرة: ١٨٧ .

كذا نجد أن "اللباس" هو الثوب، والثوب للبدن التصاق وتماسك، وحماية وستر من العيب، وزينة للبدن، ومن ثم حين يكون الزوج لزوجته والزوجة لزوجها في علاقة التصاق وتماسك وحماية وستر وزينة يشيع السلام وتسد منافذ الصراع كلها، إن السلام بين المرأة والرجل هو الأساس للسلام العائلي، وخاصة في المرحلة الحياتية الأولى للعائلة.

ب — علاقة الأهل بالأبناء: لقد نص الإسلام على حقوق الأطفال والأولاد، وخاصة حق الإطعام والكسوة والرزق والتربية والتعليم والتأديب، حتى حق الولد في الاسم اللائق الذي يتسمى به وغير ذلك، وحيث إن هذه الحقوق معروفة تكفي الإشارة إليها، ونورد قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَّمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١).

ج — علاقة الأبناء بالآباء: تركز علاقة الأبناء بالآباء في الإسلام على قاعدة وحيدة هي: الإحسان، إنها ليست علاقة معاوضة وعلاقة عدل وجزاء؛ لأن الفعل هنا يتجاوز الجزاء العدل بنص القرآن، لذا فهي علاقة "إحسان" ورضوخ تام واحترام، يقول الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢)، هذا القول الكريم من الأبناء يؤسس للسلام بين الأجيال، سلام مبنى على احترام الصغير للكبير لا على النديّة، فالابن يحتاج إذن والديه حتى بعد بلوغه سن الرشد إن أراد السفر أو حتى الجهاد، وكذا نبهت التعاليم النبوية على أن عقوق الوالدين من كبائر الإثم.

د — علاقة الأبناء فيما بينهم: إن الأخوة علاقة مقدسة في الإسلام، والأخوة لا تنفي أصل الاختلاف بل تنفي أصل المفارقة، نختلف ونبقى إخوة غير متفارقين، وهكذا يؤسس الإسلام لثقافة سلام في علاقة الأبناء فيما بينهم .

المسألة الثالثة: السلام الاجتماعي.

ينظر الإسلام إلى المجتمع الإنساني على أنه فئات اجتماعية متساوية في القيمة الإنسانية "الناس سواسية كأسنان المشط"، وكل فئة منها تتدرج أوضاعاً معيشية، وهذه المساواة الإنسانية

(١) البقرة: ٢٣٣ .

(٢) الإسراء: ٢٣ .

إن مورست بمهارة وفهم، تؤدي إلى التماسك والتعاون والتآخي وتزيل مسببات الصراع الطبقي كلها؛ لأن الصراع يتولد من مشاعر الدونية والقلة والإحساس بعدم المساواة .

لقد أوجد الإسلام منظومة مفاهيم اقتصادية ترسي السلام الاجتماعي، ونحتاج اليوم إلى إعادة استثمارها في ثقافة السلام، وأهمها: تداول المال وعدم كثره بالبخل، والنهي عن الإسراف والتبذير، وأداء الحقوق المالية للآخر كالزكاة مثلاً، والتكافل والتضامن والتعاون في حالات العوز والشدة تعاوناً فيه مساواة وندية ويسهم في تنمية الآخر وتقدمه، ولقد حث الإسلام المسلم على أن يكون غنياً قوياً، فقال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» استنهاضاً للإنسان على التقدم والعمل .

المسألة الرابعة: السلام الوطني.

إن سلامة الأوطان والمواطنين هما جزء من السلام الإنساني، وفي هذا السياق لابد من الحفاظ على الأمن الاجتماعي، ومكافحة الفتن التي تدمر الإنسان والمجتمع، ودفع عملية النماء والتنمية إلى التقدم .

لقد آن الأوان لأن نرى أننا دخلنا في عالم جديد، اختلفت فيه الأسلحة وميادين القتال، وبرز فيه الإنسان والفكر على أنهما السلاح والميدان معاً في كل مجال، والسلم الوطني هو السبيل الوحيد لنماء الإنسان وتنمية فكره ليواجه الحياة بروح العصر.

المسألة الخامسة: السلام الأممي العالمي.

إن السلام العالمي هو الحاضن للسلام الإنساني، وقد بناه الإسلام على حسن الجوار وعدم الاعتداء والطغيان، بناه على العهود والمواثيق ووجوب الوفاء بها والالتزام ببندوها، وقد أبان الشيخ محمد أبو زهرة حكم الإسلام فيما يتعلق بالعهود الدولية ومواثيق المنظمات، فقال^(١): يجب أن يُلاحظ أن العالم الآن تجمعه منظمة واحدة" منظمة الأمم المتحدة" قد التزم كل أعضائها بقانونها ونظمها، وحكم الإسلام في هذه أنه يجب الوفاء بكل العهود والالتزامات التي تلتزمها الدول الإسلامية عملاً بقانون الوفاء بالعهد الذي قرره القرآن الكريم .

(١) محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام ص ٥٧ نقلاً عن العلاقات الدولية في الإسلام، عدنان حسين ص ١٤٧.

المطلب الرابع

معوقات نشر ثقافة السلام

يجب أن نعترف بوجود معوقات إنسانية أمام نشر ثقافة السلام ، معوقات لا بد من أن نوليها الاهتمام اللازم فندرس أسبابها وآلياتها ونأمل إنسانياً في حلها ولا نكتفى بمحاربتها فقط، وأضع بين يدي هذه المعوقات فكرة المنظومة الرباعية المدمرة:

تتجلى ظواهر عديدة تؤكد على وجود منظومة رباعية مدمرة فاعلة في العالم اليوم، وهذه المنظومة الرباعية تتلخص بأربع كلمات هي: التعصب – التطرف – العنف – الإرهاب.

تتجلى ظاهرة التعصب اليوم بكافة أشكاله فمنه الفكرى والدينى والعرقى والقومى، وعلى حين أن العصبية ليست ضد الآخر إلا أن التعصب للعصب هو المؤسس للصراع، وكذا فاتباع فكر معين ليس ضد الآخر ولكن التعصب لفكر واحد يؤدي إلى الصراع، يؤدي إلى عدم قبول الآخر، وإلى الأحادية التي يظن المتعصب لفكره بموجبها أنه وحده على حق وكل الآخرين على ضلال، إن ظاهرة التعصب التي هي أولى مراحل الدمار تحتاج إلى مزيد دراسة لمعرفة أسباب تكونها داخل الذات البشرية وكيفية حماية الذات من ذلك.

كما تتجلى ظاهرة ثانية وهي الخطوة الثانية بعد التعصب وهي التطرف، الذي يعنى التخلي عن الاعتدال والوسطية، وترك وسطية الإسلام لاعتناق الغلو والمغالاة والتشدد، بما لا يترك مجالاً للقاء مع الآخر في مساحات مشتركة.

وتتجلى ظاهرة ثالثة هي العنف، إذ نلاحظ أن العنف أصبح يفور كالنتور في وجدان المتطرف، وهو الخطوة التالية له .

وتتجلى ظاهرة رابعة هي الإرهاب، إذ إن التعصب والتطرف والعنف تمهد نفس الإنسان وتجعلها مواتية في كثير من الأحيان للانتقال من حيز الذات إلى حيز المجتمع، فتنجسد هذه العوامل في عمليات التدمير واستئصال المختلف معنوياً ومادياً .

المطلب الخامس

من أجل بناء ثقافة للسلام فى الإسلام

إن البشرية بأكملها وحدة عضوية، أبحر أبناء الإنسان فى مركب واحد، أو أفلعوا فى طائرة واحدة، إننا جميعاً نسبح فى الفضاء على سطح كوكب واحد، ولا بد أن يأتى على الناس حين من الدهر يلمسون فيه هذه الحقيقة البديهية، ويدركون أن أى فساد يلحق بشعب من الشعوب أو بأمة من الأمم سيؤدى حتماً إلى فساد الآخرين، شركاء الوجود الإنسانى.

وفى خضم هذا الخلط الهائل بين دين الإسلام وتاريخ المسلمين وواقعهم، لا بد من التأسيس لثقافة السلام المستدام، وليس للسلام الآنى المرحلي، سلام هو فعل إسلامي مؤسس على جدلية النص والواقع، لا ردة فعل على تهم موجهة أو أحداث محدودة.

وأعترف بأن المسألة صعبة؛ لأن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول، كما يقول الإمام الغزالي، ومع ذلك أرى أنه من أجل بناء ثقافة للسلام من التعاليم الإسلامية لا بد من أن نلتزم بالتأسيس على محورين: على مركزية الإنسان وعلى مركزية الإسلام معا.

مركزية الإنسان :

لا سلام بدون مشاركة الإنسان؛ لذا لا بد من بناء إنسان قادر على نشر السلام العادل بين الناس، ويتحقق ذلك من وجهة نظري إن قمنا بعملين متزامنين:

العمل الأول: هو بناء إنسان تعددي، يقبل الآخر؛ لأن الأحادية تؤسس للنزاع والصراع، ومن أجل بناء التعددية نعمل على إيجاد ثقافة التنوع، فنستثمر النصوص التي تعرف الإنسان بروابطه وخصائصه، وتظهر تنوع ذاته الواحدة في الأغراض، وتبدي أبعاد هذه الذات الواحدة، مثلا هو في الوقت نفسه يؤمن بدين ويلتزم بشريعة، وينتسب إلى عرق وإلى قومية وإلى عائلة ووطن ومنطقة وغير ذلك، فإن بدا تعصب لأي بعد من هذه الأبعاد وتطرف خسر تكثره وخسر غناه وسقط في الأحادية.

إن بناء الإنسان التعددي يبدأ منذ الطفولة، يبدأ من مدرسة الأهل التي تنشئه على التعامل مع كثرته، فيراها ويعطى كل ذي حق حقه، منذ الطفولة يجب أن يتدرب الإنسان على عيش الكثرة في الوحدة.

وهذا التعدد ليس مجانياً، بل لا بد من اكتسابه بالتعلم والدربة، ومتى تحقق هذا الإنسان القادر على استيعاب المتخالفات ينهض مجتمع التواصل والحوار والتعددية.

العمل الثاني: هو إيجاد إرادة السلام لدى الإنسان، إذ لا يكفي أن يكون الإنسان متنوعاً في ذاته مفتوحاً على حوار المتخالفات بل لا بد من أن تختار إرادته السلام والمسالمة، وهذه الإرادة تولد من الاعتقاد ومن العقل معاً، وتتفعل بالتربية حين يتشرب الإنسان منذ طفولته الأولى حقوق الآخر، سواء أكان هذا الآخر أخاً له في الدين أو في الإنسانية.

وتقدم لنا النصوص الإسلامية كنزاً هائلاً قابلاً للاستثمار في ثقافة السلام، ولا يزال مهجوراً حتى اليوم إلا في حدود ضيقة.

وتحت عنوان " حقوق المسلم على المسلم " نجد نصوصاً إسلامية ثابتة وصحيحة تدين

ما نراه اليوم بين المسلمين، ومنها: ألا يؤذيه بقول أو بفعل، لا يزيد في هجره على ثلاثة أيام في حال الخصومة، يستر عورته، يصون عرضه ونفسه وماله، يوقر المشايخ ويرحم الصبيان، يفى بوعوده له، يصلح ذات البين.. والحقوق كثيرة لا يفى المكان بسردها^(١).

كما أثبت الإسلام حق غير المسلم على المسلم، قال ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك»^(٢) وقال ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً» والجوار مسألة منزلية كما أنها مسألة دولية.

مركزية الإسلام :

يحتل الدين مكاناً جوهرياً في حركة السلام العالمي^(٣) وهنا تبرز أهمية إظهار " الإسلام الكامل" بالعودة إلى النص الأساس، فالإسلام الكامل هو الذي ينص على أحكام العمل وعلى أصول أدائه معاً، يأذن بالحرب ضد المقاتل المعتدى، وينص على أخلاقها ومبادئها من عدم قتل للنساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين وعدم قطع شجرة وغير ذلك.

إن ثقافة السلام في الإسلام نجد مصدرها في آيات القرآن الكريم وفي التعاليم النبوية العصماء، وفي ارتكازها على هذين المصدرين تضمن التداول بين المجتمع، ولا تحبس ضمن فكر نخبة متقدمة مثقفة بل تصبح مسألة مجتمعية يشارك فيها الطفل والشاب والرجل والشيخ، ذكراً وأنثى.

(١) انظر كتابنا " إحياء علوم الدين في القرن الواحد والعشرين" ص: ٥٣٠-٥٣٥ (حق المسلم على المسلم) دار الشروق، مصر ط/ الثانية ٢٠٠٥م.

(٢) ورد في إحياء علوم الدين ٢/٢١٢ والحديث أخرجه الحسن بن سفيان والبخاري في مسنديهما، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية.

(٣) انظر: الحرب والسلام في شريعة الإسلام، ص: ٣٥٨ - ٣٩٢، الدار المتحدة للنشر بيروت (تأثير الإسلام في مفاهيم الغرب لقانون الدول) .

الخاتمة

لا شك أن هناك أموراً يتفق عليها جميع العقلاء، خاصة المسلم الذى عرف سبب خلقه فى هذا الكون، وفيما يلى بعض ما لا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح فيه كبشان:

— إن التطرف - وكل ما فى معناه من الألفاظ والكلمات - لا يختص بدين أو عرق أو جنسية أو دولة بعينها، وإنما هو ظاهرة عالمية تمارسها جماعات متطرفة تنتمى إلى مختلف الأديان والأعراق والأجناس والدول.

— إن المسلمين فى شتى أنحاء العالم يرفضون التطرف وكل ما فى معناه .

— إن الدين الإسلامى وجد لخدمة الإنسان ورفع قيمته ومعناه فى هذه الحياة .

— إن الدين الإسلامى يدعو إلى مكارم الأخلاق والرحمة والمحبة.

— إن الدين الإسلامى يدعو المسلم إلى تحسين حياته الشخصية وترسيخ علاقته بالآخر

المختلف عبر التعرف إليه وحواره، تحقيقاً للأهداف الإلهية والدينية النبيلة.

— إن الدين الإسلامى أرسى عبر عقود طويلة قواعد سلوك وقيماً رفيعة، حثته على استخدام

العقل الذى منحه إياه الله ليساعده فى تخطى مصاعب الحياة، وكوسيلة للتعامل بين البشر، وأداة معرفية لتقريب الإنسان من أخيه الإنسان، ولمعرفة الله .

— إن الدين الإسلامى يحرم القتل والتعدى.

— إن ظاهرة التطرف والغلو غير محصورة فى المسلمين بل هى ظاهرة موجودة فى جميع

الديانات والأفكار والتصورات.

— إننا نؤمن إيماناً كاملاً بأن كل مولود يولد خالياً من كل ما صنعتته الحياة — سواء أكان

خيراً أم شراً — ثم تبدأ تدور الأيام مع هذا الإنسان فى حياته، فمنهم من يختار طريق الخير ومنهم من يختار طريق الشر.

والله المستعان وهو من وراء القصد .